

ثانياً: الفئة المؤمنة المستحقة للنصر.. من هي؟

لن نطيل في المقدمات والتنظيرات لنصل إلى تلك النتيجة بعد عناء، فالتتيحة قريبة، قربها لنا رسول الله ﷺ بنفسه، وجعلها جاهزة أمام أفئدتنا، شاخصة أمام أبصارنا، عندما عيّن هو تلك الفئة، وحدد بنفسه - عليه الصلاة والسلام - هذه الطائفة المستحقة للنصر أو (المنصورة) في الحديث الذي رواه عنه أبو أمامة - رضي الله عنه - أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك»^(١).

ولفضل الله - تعالى - عليكم، وجميل حظنا وحظ المسلمين جميعاً بكم، أنه - عليه الصلاة والسلام - أخبر في الحديث نفسه أن تلك الطائفة ستكثر كلما تقادم الزمان ببلادكم المقدسة، فعندما سئل: يا رسول الله! وأين هم؟ قال: «بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»^(٢).

(١، ٢) رواه أحمد في مسنده، (٣٦ / ٦٥٦ - ٦٥٧) رقم (٢٢٣٢٠)، والطبراني في الكبير برقم (٧٦٤٣) (٨ / ١٧١)، وذكره ابن الجوزي في فضائل القدس، ص ٩٣، وحديث الطائفة المنصورة له روايات كثيرة، عدها جمع من أهل العلم متواترة، منهم ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) (١ / ٦٩)، =

وليس معنى هذا - بداهة - خلو بقية الأرض منها، ولكن معناه كما بين ابن تيمية - رحمه الله - أن ظهورها وانتصارها سيكون في بيت المقدس في آخر الزمان أكثر. قال - رحمه الله -: «دَلَّ الكتاب والسنة، وما روي عن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مع ما عُلِمَ بالحس والعقل أن الخلق والأمر ابتداءً من مكة أم القرى، فهي أم الخلق، وفيها ابتدأت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض، وهي التي جعلها الله قياماً للناس، إليها يصلون ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم، فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة أن ملك النبوة بالشام والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان أظهر بالشام»^(١).

وظهور الطائفة المنصورة شامل لظهور الحجة والبيان وظهور السيف والسنان، فهم (على الحق ظاهرين) و (يقاتلون على الحق) كما دلت

= والسيوطي في (قطف الأزهار المتناثرة من الأخبار المتواترة) حديث رقم (٨١)، ص ٢١٦، وعده الزبيدي من الأحاديث المتواترة في كتاب (لقط اللالئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة)، ص (٦٨)، وذكره الكتاني في (نظم المتناثر في الحديث المتواتر)، ص ٩٣، ولكن الرواية المذكورة هنا هي أوضحها في تحديد مكانهم في آخر الزمان.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٢٧، ص ٤٣، ٤٤.

الروايات . إنهم دعاة للحق ومقاتلون عليه ، ولا يمنع تجمعهم إلى بيت المقدس في آخر الزمان من أرجاء الأرض ؛ من أن تظل بعض راياتهم موزعة على أرجاء أخرى على مر الزمان ، كما قال الإمام النووي : «ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»^(١) ، ولكن يبدو - والله أعلم - أن محور الصراع ضد المسلمين كلما اقترب الزمان سيكون في بيت المقدس ، ولهذا ستجتمع تلك الطائفة حوله وحول أكنافه ، كدمشق وطور سيناء وبغداد وغيرها . وهذا يشعر بأن الفئة المقاتلة هناك ، لن تكون من الفلسطينيين أو أهل الشام فحسب ، بل من كل من يقاتلون على الدين .

إن هذا الحديث العظيم - حديث الطائفة المنصورة - كما أنه يضاعف البشارة ، فإنه يضاعف المسؤولية . . لماذا؟

لأن الرسول ﷺ قبل أن يصف هذه الطائفة بأنها شجاعة مقاتلة ؛ وصفها بأنها على الحق . وعندما يصف الرسول ﷺ طائفة بأنها على الحق ، فلا يمكن أن يكون منهج تلك الطائفة إلا نقياً من كل ما يناقض الحق ؛ ولهذا فإن هذه الطائفة هي هي بعينها الفئة أو الفرقة التي أخبر عنها رسولنا أيضاً بأنها الناجية في الآخرة ؛ فما أسعدها حظاً وما أكرمها حقاً . . . منصورة في الدنيا . . وناجية في الآخرة ، وذلك مقتضى قوله - عليه

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، (١٣ / ٦٧) .

الصلاة والسلام - الذي رواه عنه عوف بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال : «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ؛ فواحدة في الجنة وسبعون في النار ، وافتרכת النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ؛ فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده ! لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ؛ واحدة في الجنة وثلثان وسبعون في النار» ، قيل : يا رسول الله ! من هم ؟ قال : «الجماعة»^(١) ، وفي رواية عن عبد الله بن عمرو بن العاص : قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : «ما أنا عليه وأصحابي»^(٢) .

فالمنهج هنا واضح لتلك الطائفة المنصورة وهذه الفرقة الناجية : «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي» ، وهي لم تكن لتكون منصورة ، ولم

(١) رواه : ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن ، باب : افتراق الأمم ، (٢ / ١٣٢٢) رقم (٣٩٩٢) ، ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة برقم (٦٣) (١ / ٣٢) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٨ / ٩١ و ١٢٩) ، ورواه الحاكم تعليقا (١ / ٦) ، وإسناده حسن وله شواهد .

(٢) رواه : الترمذي في كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في افتراق الأمة (٥ / ٢٦) رقم (٢٦٤١) ، ورواه الآجري في (الشريعة) ، ص ١٥ ، ١٦ ، والمروزي في السنن ، ص ١٨ ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (١٤٥) ، (١٤٧) (١ / ٩٩) ، وحسنه الترمذي لشواهده الكثيرة ، انظر : تحفة الأحوزي (٣ / ٣٦٨) ، وأحاديث الفرقة الناجية مروية عن جمع كثير من الصحابة بطرق متعددة تؤكد ثبوتها .

تكن لتكون ناجية إلا لاستجابتها لوصية الرسول ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(١).

ولاستجابتهم للتمسك بالسنة استقرت تسميتهم عند الأئمة بـ (أهل السنة)، ولا اجتماعهم عليها سُموا بـ (الجماعة) فهم أهل السنة والجماعة، وقد عرفهم ابن تيمية بقوله: «هم أتباع آثار الرسول باطنًا وظاهرًا، وأتباع سبيل السابقين من المهاجرين والأنصار، وأتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)»^(٢).

والفرقة الناجية تشمل عموم أهل السنة الحاملين لأصولها، أما الطائفة المنصورة، فهم خلاصة الفرقة الناجية وخواص أهل السنة والجماعة؛ لأنهم لا يكتفون بإقامة أصول القرآن والسنة ويدعون إليها

(١) أخرجه: أحمد في المسند، (٢٨ / ٣٦٧ و ٣٧٣ - ٣٧٧) رقم (١٧١٤٢)، (١٧١٤٤ - ١٧١٤٧)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤ / ٢٠١) رقم (٤٦٠٧) واللفظ له، والترمذي في كتاب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة، (٥ / ٤٤) رقم (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء، (١ / ١٦) رقم (٤٣)، وإسناده صحيح.

(٢) انظر: العقيدة الواسطية، لابن تيمية، ص ١٧٩.

فقط ، بل يقاتلون عليها ويجهادون في سبيل إقامتها (يقاتلون على الحق)، والحق هنا هو الحق بمعناه الشرعي الديني ، وليس مجرد «الحق التاريخي» أو «الحق الوطني» أو «الحق القومي» ، وما الحق الشرعي الذي يقاتل عليه المجاهدون في سبيل الله ؛ إلا كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده التي أوصى بالتمسك بها والعض بالنواجذ عليها .

إن لأهل السنة أصولاً لا بد للطائفة المنصورة أن تربي عليها العاملين والداعين والمجاهدين ، وهي موجودة في مظانها من تأليف أئمة الدين وعلماء أهل السنة ، وقد أجملها الإمام أحمد - رحمه الله - في قوله : «أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والافتداء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة»^(١) .

نصارحكم - يا أحبتنا في الأرض المقدسة - أن قدراً كبيراً مما أصاب المسلمين من الضعف والذل ، هو بسبب ما أغرى به الشيطان من الابتداع لدئ طوائف عديدة من المسلمين ، وبخاصة البدع الاعتقادية ، فهذه ؛ فوق أنها تؤخر النصر ، فإنها تورث الذل ، قال الله - تعالى - عن المبتدعة الأوائل من بني إسرائيل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف : ١٥٢] ، قال أبو قلابة

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، للإمام اللالكائي ، (١/ ١٥٦) .

في تفسير هذه الآية: «هي والله! لكل مفتر إلى يوم القيامة»، وقال سفيان بن عيينة: «كل صاحب بدعة ذليل»^(١)، إن طريق العز والشرف هو طريق الكتاب والسنة، ومخالفتهما بالابتداع فقدان لهذا الشرف، وتعرض لذل الحرمان من العزة، قال الله - تعالى -: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسيرها: «﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: فيه شرفكم»^(٢).

لا حاجة إذن لأن يدعي المبتدعة أنهم أهل للشرف دونكم، أو أن جهادهم أشرف من جهادكم.

نقول هذا ونؤكد؛ لعلنا أن فريقاً من المبتدعة - وخاصة الروافض - يراودون شعبكم عن السنة، ويزايدون على جهادكم عندما يدعون أو يدعى لهم، أنهم أول من دخل مجابهة حقيقية مع اليهود، والحق الذي سوف تثبته الأيام - بإذن الله - أن هؤلاء يعملون لحسابهم ولأجل بدعتهم فقط، ولأجل إقامة كيان رافضي عربي في الشام، يكون رداءً لكيان الروافض في إيران.

أيها الأحبة: إنهم يدعونكم إلى الاقتداء والتأسي بمسلك من يدعونه (حزب الله) الذي قالوا إنه أول من حقق نصراً حاسماً على دولة اليهود

(١) تفسير ابن كثير، (٤ / ٢٠٢).

(٢) تفسير ابن كثير، (٤ / ١٣٥).

في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي! مع أن هذا الحزب - كما هو معلوم للجميع - هو حزب طائفي يعمل لحسابات طائفية، وهذا ما صرَّح به كبير القوم هناك حينما قال: «لا علاقة لما نقوم به ضد إسرائيل بالفلسطينيين أو الانتفاضة»، وهم ما فتئوا يرددون ويكررون أن حركتهم ستتنصرف إلى العمل السياسي بمجرد الإفراج عن الأسرى اللبنانيين - الشيعة طبعاً -، وبعد تحرير مزارع شبعا في جنوب لبنان، وعندما سئل أمين حزبهم عن نية مجموعته في تقديم العون العسكري للانتفاضة رد بلا تقية: «العون العسكري ليس وارداً، ولكننا نساند الانتفاضة مساندة معنوية!»

إننا نرجو ألا يُفرط بعض قادتكم - أيها المجاهدون - في حسن الظن بهؤلاء القوم الذين يرون في أهل السنة أعداءهم التاريخيين، وليس بين أيدينا ما يدل - على كل حال - أن موقفهم هذا قد تغير أو هو قابل للتغير، حتى لو تغيرت تصريحاتهم ومزايدهم الإعلامية.

ونقول هنا أيضاً: لا ندعو للانشغال بمعارك جانبية غير المعركة المصيرية مع اليهود، ولكن نقول: إذا ادَّعى قوم تمثيل الإسلام الصحيح وهم على غير السنة؛ فمن السنة أن يُعرَّف الناس بحقيقتهم حتى لا يصح إلا الصحيح، فلا يصلح في دين الله أن يُسب ويُلعن أصحاب رسول الله ﷺ وزوجاته الطاهرات ثم لا يمثل هذا عند بعضنا إلا «خلافات فرعية»!

إن الطائفة المنصورة التي نتطلع إلى ظهورها وانتصارها؛ هي أولى

الناس بمعرفة قدر الصحابة رضي الله عنهم ؛ لأن منهاج الفرقة الناجية هو منهجهم ، ووصله إلينا لم يأت إلا عن طريقهم .

نقول لكم يا أحفاد الفاتحين في جيوش أئمة الدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم جميعاً - : إن جهادكم أنقى وأنقى وأبقى ، وأهل السنة والعاملون بها في العالم ؛ هم فئتكم الصادقة ، ورديفكم الجاد ، ومدد الله لكم في السراء والضراء .

وما يقال عن خطر الرفض على سلامة صفوفكم ، يقال عن خطر كل المبتدعين - القدماء والمعاصرين - الذين جفوا رسول الله ﷺ في وصيته بلزوم سنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده .

إذن نقول : يا إخواننا ! يا من ترومون النصر ، وتطلعون إلى الظهور على الأعداء والانتصار عليهم : طريقكم إلى ذلك هو انتهاج سبيل الفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي أخبر الرسول ﷺ عن تجمعها في أزمنة الفتن في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ، إن هذا يعني عملياً :

١ - أن يكون الانتماء والتجمع والتحزب حول منهج الطائفة المنصورة ؛ هو المادة الأولى في برامج أي فصيل أو تجمع إسلامي ينشط في الدعوة أو العلم أو الجهاد .

٢ - أن يكون هذا المنهج واضحاً في استمساكه بالسنة والقرآن ،

فاصلاً في رفض الابتداع والبهتان .

٣ - أن يكون هذا المنهج ظاهراً معلناً ؛ بحيث يشكل هوية عامة للفصائل الإسلامية العاملة .

٤ - أن لا يمنع هذا الانتماء الخاص من انتماء عام لكل المسلمين على قدر أخذهم من الإسلام ، فكل مسلم له من الولاء والمحبة والنصرة بقدر ما يظهر منه من دين وسنة .

٥ - أن يُواجه الباطل بأنه باطل دون موارد أو مDAHنة ؛ حتى لا يتكرر خداع الأجيال بالمناهج الزائفة التي أنشأت شعارات وتجمعات وزعامات زائفة .

٦ - لا يعني ترك المDAHنة للباطل عدم المهادنة معه ؛ فالمسلم يهادن دون أن يداهن ، فالمهادنة الموقوتة المشروطة قد تكون لصالح الحق ، أما المDAHنة فلن تكون إلا قتلاً له أو تميعاً لمفهوماته .